والآن وبعد هذه المبشرات، أذكر ببعض الأمور المهمة بين يدي الحديث عن خطواتٍ إصلاحية.

ففي البداية ينبغي أخذ التصور الصحيح لكل ما يهمنا من الأمور ذات الصلة بخطوات الإصلاح, حتى نستطيع أن نتخذ القرار الصحيح, حيث إن الحكم على الشئ فرع عن تصوره, فمن ذلك معرفة ما حِيك لنا من مؤامرات عبر التاريخ الطويل, ومعرفة ما يُحاك لنا في التاريخ المعاصرمن مؤامرات وما يعد لنا من حروب, وينبغي كذلك معرفة أصدقائنا وطاقاتهم ومعرفة أعدائنا وإمكانياتهم. وكما ينبغي أن نوطن أنفسنا على قبول الحق وإن كان مُرّاً.

وسأتحدث عن منهج الإصلاح و ما يكتنف هذا الطريق من مشاق وأعباء. وكذلك سأذكر صفات المصلحين لإقامة المنهج، ولكن ابتداءً أتحدث عن إعادة الثقة إلىالأمة بنفسها وأنها قادرة على قتال وهزيمة القوى العظمى حتى تتأهل لتحمل أعباء الطريق وهو أمرٌ ممكنٌ بإذنِ الله.

وفي الحقيقة أن الأمة الإسلامية هِي القوة البشرية العظمى إن أقامت دين الإسلام حقاً، فابتداءً أذكِّرَكم بهزيمةِ إحدى ما كان يسمى بالقوى العظمى، فأذكركم بهزيمةِ الاتحادِ السوفيتـي سابقاً على يدِ المجاهدين في أفغانستان بعدَ عشر سنواتٍ من القتالِ الضاري بفضلِ اللهِ، وقد كانت أمريكا وحلفاؤُها تدورُ أعيُنَهم في رؤوسهم خوفاً من الاتحاد السوفيتـي في تلك المرحلة . وكان بعض العقلاء من بني قومنا يتهمونني بالجنون ويقولون أنتم مجانين تقاتلون روسيا. وما كان العالمُ يتصورُ أن تُهزمَ تلك الجيوش الجرَّارة الحمراء التابعة للدب الروسي ولكن كان فضل الله علينا عظمياً, فهُزم الاتحاد السوفيتـي وأصبح أثراً بعد عين على أيدي الحفاة العراة العالة رعاة الشاة من أبناء الأفغان ومن ساعدهم من أبناء المسلمين.

وكان لأبناء العرب نصيب الأسد في المعركة الأخيرة الشهيرة الحاسمة، معركة رمضان عند الجبل الأبـيض بجاجي قربَ توره بوره، والتي انسحب بعدها الاتحاد السوفيتـي من أفغانستان بفضل الله.

ثم إني أذكركم بهزائم أمريكا المتكررة، ولن أحدثكم عن هزيمتها في كوبا أو في فيتنام حيث هزموا هزيمة منكرةً، عمت الآفاق وقتل منهم أكثر من خمسين ألفاً، وإنما أحدثكم عن الضربات والهزائم التي منيت بها في العالم الإسلامي خلال العقدين الماضيين على أيدي الأفراد والجماعات.

وقبل ذلك سأذكر حادثة ذات صلة بموضوع قتال القوى الكبرى؛ ذكر أهل السير أن المثنى بن حارثة الشيباني جاء إلى المدينة المنورة يطلب مدداً لقتالِ الفرس، فندبَ الخليفة عمررضي الله عنه الناس ثلاثة أيام، فلم يخرج أحد, وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم، لشدة سلطانهم وشوكـتهم وعزهم وقهرهم الأمم, ففطن عمر رضي الله عنه لِما في نفوس الناس من عقدة قتال القوى العظمى، فأمر المثنى الشيباني أن يحدث الناس بما فتح الله عليه ضد فارس، ليزيل ما بأنفسهم، فقام المثنى فتكلم بكلام أثلج الصدور، وأدخل السرور، ونشط القوم، فكان مما قال: "ياأيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبجحنا فارس، وغلبناهم على خير شقِّي السواد، وشاطرناهم ونلنا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاءالله ما بعدها" فتشجع الناس، وقام أبو عبيدة الثقفي، وعقد له الخليفة اللواء، وتتابع القوم رضي الله عنهم.

وأنا أقول متشبهاً بأولئك الكرام: يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه وجه أمريكا وجيشها، فقد ضربناهم والله مراراً، وهُزموا تكراراً، وإنهم أجبن قوم عند اللقاء، فقد هُزموا -عام 1402هـ- عندما اجتاح بنو إسرائيل لبنان بغياً وعدواناً, وتقدم الأسطول السادس الأمريكي لدعم اليهود، فقدمت المقاومة اللبنانية شاحنة مملوءة بالمتـفجرات إلى مركز القوات الأمريكية المارينز في بيروت، فقتل منهم أكثر من 240 قتـيـلاً فإلى جهنم وبئس المصير، وفرَّ الأسطول السادس عن بكرة أبيه، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ثم بعد حرب الخليج الثانية تلك الحرب الظالمة -التي قادتها أمريكا بحلفائها وعملائها- ضد المستضعفين من الشعب العراقي، والتي فعلت فيها أمريكا من القتل والخراب والدمار أكثر مما فعله التتار, بعد تلك الحرب خرجت أمريكا تتمايل طرباً من نشوة النصر, تهدد العالم بأسره, وسوقت للعالم ما عُرِفَ بالنظام العالمي الجديد والذي جوهره وفحواه أن تـفعلَ أمريكا ما تريد وأن تستعبد جميع البشر لأرباب الربا في أمريكا، وأراد بذلك مدعو الحريةِ سلب الحريةِ من جميع البشرية, ثم بعد ذلك أدخلت أمريكا جيوشها إلى الصومال -وعبيدها بين يديها- وقتلوا ثلاثة عشر ألفاً من أبناء المسلمين في الصومال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم بعد دخولها بأسابيع بدأت تتحدث عن تدخل سريع عسكري آخر في السودان، وأن من حق أمريكا أن تسقط نظام الخرطوم بالقوة العسكرية في هجوم صارخ على العالم الاسلامي، ولم يستطع أحد من دول العالم أن يرد هذه العربدة السياسية.

عندها وثب أسد الإسلام من العرب الأفغان, فانبروا لهم في أرض الصومال مع إخوانهم في تلك الأرض فمرغوا كبريائها في الطين, وأرغموا أنفها في التراب, فقتلوهم ودمروا دباباتهم وعرباتهم وأسقطوا من طائراتهم فلله الحمد والمنة.

فعلم الطغاة يومها أن الأرض ما زال فيها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأن الأرض ما زال فيها أحرار, ففرت أمريكا وحلفاؤها في ليل مظلم, لايلوون على شئ، ولا يلوي أحد على أحد منهزمين مذعورين، يجرون أذيال الخيبة والخسران والهوان.

وأطار المجاهدون من رأس أمريكا وسواس النظام العالمي الجديد لمدة عقد تقريباً, ثم ها هو قد عاد من جديد، ولا دواء له فعّال إلا دواء الصومال بإذن الله, وكانت هزيمة أمريكا في الصومال عام 1413هـ الموافق 1993.

وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأمريكيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من 24 ساعة.

ثم في عام 1415هـ الموافق 1995م وقع إنفجار في الرياض قتل بسببه أربعة من الأمريكيين، وكان رسالةً واضحة تبين إعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأمريكية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين, ثم في العام الذي يليه وقع انفجار آخر في الخبر قتل على إثره ، 19 وجرح أكثر من 400. وكانت رسالة ثانية أشد وأنكى من الأولي, تؤكد على رفض احتلال بلاد الحرمين, واضطربعدها الأمريكيون لنقل مراكزهم الكبيرة من المدن إلى قواعد في الصحراء.

ثم بعد ذلك في عام 1418هـ الموافق 1998م هدد المجاهدون أمريكا -على الملأ- بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين, فرفض العدوُ التحذيرَ وأعلنَ في قواته النفير، وبعد أن أعد واستعد تمكن المجاهدون -بفضل الله- من صفعهِ صفعتيـنِ في شرق أفريقيا مازالت تداعياتهما إلى اليوم, قام بالعملية الأولى البطل المجاهد جهاد بن محمد علي من أبناء مكة المكرمة، وقام بالعملية الأخرى البطل المجاهد أحمد بن عبدالله من مصرَ أرضِ الكنانة، أرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء.

وكانتَ رسالتا شرق أفريقيا أكثر إيلاماً ووضوحاً في ضرورة الكف عن ظلم المسلمين وضرورة إنهاء احتلال بلاد الحرمين, ولم يستجب العدو الأمريكي لكل هذه الرسائل رغم وضوحها، فما كان من المجاهدين إلا أن كرروا وعيدهم وتحذيرهم لأمريكا من التمادي في الظلم والطغيان, فأعلن العدو مرة أخرى حالة الاستنفار في قواته البرية والبحرية والجوية, وبعد أن استعد وأخذ أهبته, وفق الله المجاهدين في عملية استشهادية أخرى مباركة دمرت المدمرة الأمريكية كول في عدن, فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأمريكية فذلت كبريائهم، وأهانت غطرستهم, وقد قام بها أسدان من أُسد الإسلام: البطل المجاهد إبراهيم الثور من شمال اليمن، ومن جنوبه

البطل المجاهد حسان معاذ الحضرمي، أرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء.

ثم إن المجاهدين لما رأوا أن الحكومة الأمريكية تستغفل المغفلين من الشعب الأمريكي, وتصور الأمر على غير حقيقته, بل يزعم زعيم أمريكا لكع بن لكع أننا نحسدهم على طريقة حياتهم وعلى ما عندهم من أموال, وعلم الله لو خُيِّرنا أن نملك أمريكا من شرقها إلى غربها على أن نعيش حياتكم الشقية البائسة الكافرة -التي لا روح فيها طرفة عين- ما رضينا, وإنما الحقيقة التي يخفيها بوش وعصابة الإجرام معه, أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم بلاد الحرمين. لما رأى المجاهدون ذلك التعتيم قرروا أن يتخطوا التعتـيم الأمريكي وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وعقر داره, وبدأوا يخططون لعملياتٍ داخل أمريكا.

وفي يوم الثلاثاء المبارك -في الثالث والعشرين من جمادى الثاني عام 1422هـ الموافق 11 سبتمبر 2001م- كان التحالف الصهيو-أمريكي يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك حصداً بطائرات ودبابات أمريكية وأيدٍ يهودية، فيقتلون الرجال ويرملون النساء ويتيمون الأطفال ويهدمون البيوت, وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الأمريكي الظالم، بينما أبناء أمريكا يسرحون ويمرحون لا يبالون بمصائبنا على يد حكومتهم.

وكانت أمريكا تظن أنها -خلف البحار- في مأمن من غضب الشعوب المستضعفة, وتظن أن دماء المسلمين هدر لا ثمن لها, وغرّها سكوتنا الطويل لأن حكامنا وعلماء السلاطين خادعونا دهراً من الزمن.

وبينما أمريكا في تلك الحال من الظلم والعلو والاستكبار تنظر إلى الناس من علٍ متترسة بأحدث وأخطر ترسانات الأسلحة، وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقاً، وما صاحب ذلك من تخلف في جميع مناحي الحياة، وأصاب الناس ضعف وفقر وخوف.

وصار المسلمون كالغنم الشاتية في ليلة مطيرة بأرض مسبعة، وأهل فلسطين لا بواكي لهم.

ولقد ثبتت خيانة الحكومات عبر عشرات السنين، وثبت عجز الأفراد والجماعات، حتى صار الحليم حيران بعد أن فقدوا القدرة على التفكير في المقاومة، فضلاً عن المقاومة نفسها نظراً لبعدهم عن الدين من جهة ولضخامة العدو وقوته من جهة أخرى، فاستشرى الإحباط، واشرأب النفاق، وتمكن اليأس في الناس إلا من رحم الله وقليل ما هم.

وبينما الأمور على تلك الحال من الاحباط واليأس عند المسلمين ومن الظلم والعدوان عند التحالف الصهيو أمريكي، فقد كانت بلاد العم سام في غيها سادرة, بطغيانها هادرة, مصعِّرةً خدها للناس تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد, إذ وثب شعث الرؤوس مغبري الأقدام المدفوعون بالأبواب المطاردون في كل مكان, فتيـةٌ أحرار, ربط الله على أفئدتهم, وكتب الإيمان في قلوبهم فلم يخشوا في الله لومة لائم. أرادتهم الدنيا فأرادوا الآخرة، يبتغون ما عند الله تعالى, تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم, يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلاً

فحطموا أصنام أمريكا, وأظهروا زيف قيمها, فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها, وأصابوا الاقتصاد الأمريكي في سويداء قلبه, فأرغموا أنف أمريكا في التراب، ومرغوا كبريائها في الطين, فانهار برجا نيويورك وأصيب البنتاغون, وبذلك الانهيار انهارت أساطير أمريكا انهارت أسطورة أمريكا العظمى وانهارت أسطورة الديمقراطية وظهر للناس أن قيم أمريكا في السافلين وتحطمت أسطورة أرض الحرية وتحطمت أسطورة الأمن الأمريكي وانهارت أسطورة الـ CIA .

وبدأ توازن الرعب بين الظالم والمظلوم، ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأمريكي حقيقة القضية الفلسطينية، وأن ما أصابهم في منهاتن كان بسبب سياسة حكومتهم

الظالمة, وقد كانت أمريكا تظن أن لا سبيل إليها, فأتى الله بنيانهم من القواعد وخر عليهم السقف, وكان حال أمريكا كحال اليهود، قال تعالى:" ما ظننتم أن يخرجوا وظنّوا أنّهم مانِعَتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار".

وخلاصة الأمر أن أمريكا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات إقتصاد عريض, ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، فلا دين قويم، ولا خلق عظيم، ومن نظر إلى أمريكا من الداخل عرف ذلك، ومن نظر إلى طريقة نقل الشباب إلى جوانتانامو عرف سفالة أخلاقهم وانحطاط مبادئهم.

لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها، وإذا ما ضربت في عشر معشار تلك النقاط فإنها بإذن الله ستترنح وتنكمش، وتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

ويكفي أن تـنظروا إلى الجهد اليسير الذي بذل في غزوتـي نيويورك وواشنطن وانظروا -في المقابل- إلى الآثار السلبية الهائلة على الحياة والاقتصاد في أمريكا.

ويكفي أن ننظر إلى التضعضع الحاد في التحالف الصليبي الذي تقوده أمريكا بعد عدد يسير من العمليات كعملية تونس ضد اليهود الألمان وآثارها وعمليتي كراتشي والمكلا ضد الفرنسيين وعملية بالي ضد الانجليز والاستراليين، فهاهي استطلاعات الرأي في أوروبا تظهر أن الغالبية من الشعوب الغربية ترفض الدخول في تحالف جديد مع أمريكا ضد إحدى دول العالم الإسلامي.

ثم هاهي أصوات الشعب الأسترالي ترتـفع وتتوالى، وتعم المظاهرات المدن الكبرى- بعد عمليات بالي- معبرة عن شجبها لموقف الحكومة في تأييد فرعون العصر بوش في حرب جديدة ضد العراق, وهكذا بدأت الشعوب الغربية تحاسب حكوماتها, طالما أن الشعوب ستدفع من دمها واقتصادها ثمن مغامرات حكامها.

واستطاع عدد يسير من فتية الإسلام -كفتية غزوتي نيويورك وواشنطن- أن يدافعوا عن دينهم، وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم العربي والإسلامي، لأن هؤلاء الفتية التزموا الإسلام وذروته حقاً، ونصروا دين الله، فنصرهم الله، فلله الحمد والمنة.

وللنصر أسباب وللخسر مثلها وكل طريق يورث الخلد رابح

دروب العلى شتى وأقصرها التي تريق الدما في جانبيها الجحاجح

هؤلاء الفتية الذين أقاموا الحجة على الناس أن الفرصة متاحة والقدرة متيسرة لمقاومة ومجاهدة مايسمى بالقوى العظمى، فقدموا دماءهم لنصرة دين الله ولرفع رايته ولتحيا الأمة المسلمة عزيزة بدينها، نسأل الله أن يتقبلهم وجميع إخوانهم في الشهداء -كما نحسبهم- في الفلبين وإندونيسيا وكشمير وأفغانستان والشيشان والبوسنة وفلسطين والكويت وتونس وعدن والمكلا ونيروبي ودار السلام وممباسا وباقي بلاد الاسلام، وأن يلحقنا بهم، ويجمعنا وإياهم في جنته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

هؤلاء الشباب أردد فيهم قول القائل:

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقوا فيهم ظنوني

فوارس لا يملون المنايا وإن دارت رحى الحرب الزبون

ولا تبلى بسالتهم وإن هم صلوا بالحرب حيناً بعد حين

وإن حمي الوطيس فلا يبالوا وداووا بالجنون من الجنون